آلـــة العود في الموسيقى العربيـــة

للدكتور عالي المهـــدي

ان هذه الالة العربية الاصيلة عريقة في القدم وتوجد شبيهات لها منحوته في آثار اغلب الحضارات القديمة ويرجع الباحث الاثري العراقي صديقنا الاستاذ "صبحي انور رشيد" تاريخ هذه الالة للعصر الاكدي (2250_2150 قبل الميلاد) ويتحدث عن العثور على منحوتات يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد في مدن "كركميش" و"سيجرلي" وغيرهما وكذلك على لوح طيني من مدينة "نوزي" وختم اسطواني يعود لملك الكاسيين (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)

ويوجد بمختلف الحضارات القديمة نحوت ولوحات وغير ذلك من الاثار التي تصور لنا آلات يمكننا ان نجزم بانها اعم للعود ولكن ليست هي العود نفسه لمخالفتها لشكله الذي حكته لنا الكتب العربية القديمة او وجدناه مرسوما بها مثل "الموسيقى الكبير" للفارابي "، و"رسالة في اللحون والنغم" للكندي التي اشتملت على تركيب العود ومعرفة الاوتار والنغم، وريا ة اليدين لذلك، وغيرهما، وكذلك لاشكاله المعاصرة التي ورثناها جيلا عن جيل .

وبذلك يمكننا القول بان هذه الاثار التي وجد منها الكثير في الحفريات المصريـــة والقرطاجنية والاغريقية والرومانية يمكن ان تكون اصلا لجميع الآلات المشابهة للعود مثل "الطار" و"السطار" الفارسيين والطنبور الخرساني المتداول في جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية حتى الآن، و"الطنبور" و"البزق" التركيين و"البلليكا الروسية"، و"القيثاره" الاندلسية وغيرها من الالات الوترية التي تعزف بالنبر او الضرب على اوتارها بواسطة مضراب او بتحريك الاصابع.

كما ارتبطت بآلة العود عدة اساطير من ذلك ما اتى به المسعودي بقوله : ان عبد الله بن خرداذبه دخل على المعتمد ذات يوم وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى فقال له اخبرني عن اول من اتخذ العود قال بن خرداذبه: قد قيل في ذلك يا امير المؤمنين اقاويل كثيرة، اول من اتخذ العود الملك ابن متوشلخ بن محويل بن عباد بن خنوخ بن قاين بن آدم وذلك انه كان له ابن احبه حبا شديدا، فمات فعلقه بشجرة فتقطعت اوصاله حتى بقي منها فخذه والسان والقدم والاصابع، فاخذ خشبا فرققه والصقه فجعل صدر العود كالفخذ، وعنقه كالساق، وراسه كالقدم، والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق، ثم ضرب به وناح عليه فنداق العود ـــ هـ.

وجاء في شرح منظومة الاداب (للمرداوي) لمحمد السفاريني (القاهرة سنة 1324هـ 147) اول من وضع العود للغناء لامك بن قانيان، بكى به على والده، ويقال ان صانع العود بطليموس الحكيم صاحب الموسيقى كما في "بهجة التواريخ" وهذا اظهـــر والله اعلم ـــ هـ ـــ

وقد عرف العود بالجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام باسماء مختلفة منها العربي الاصيل ومنها الدخيل مثل : المزهر والبربط - والموتر - والمستجيب - والزير - وذو العتب - والكران - كما جاء في قول ابن الرومي :

وقيان كانهـــا امهـات عاطفـــات على بنيها حوانـي
في طفـــل يدعى باسماء شتى بين "عود" و"مزهر" و "كـــران"

ووردت الاشارة الى بعض هذه الاسمـــاء في شعـــر امـــرؤ القيس في قوله:

ان امسي مكروبا فيا رب قيفة ضخمة اعملتها (بكـــران)
لها (مزهر) يعلو الخميربصوته اجش اذا ما حركته اليـــدان

وكذلـــك في شعر لبيد بقولـــه:

بصبوح صافية وجذب كرينة بموترتـــأ تاله ابهامهـــا

وفـــي شعـــر الاعشـــى بقولـــه:

اذا قلت : غنـــى الشر : قامـت (بمزهـــر)
يكـــاد اذا داعبته الكف ينطـــق

واذا كان ما سبـــق من اشعار العهد الجاهلي تدل دلالة قاطعة على وجود العود في عهد انشادها اذا لم يكن سابقـــا لذلك؟ فان البـــطري يذكر في (انســـاب الاشراف جـ 1 ص 143) ان دخول العود الى مكة المكرمـــة قد تم قبل نزول الوحي بسنوات قليلة على يد النضر بن الحارث بعد ان "قدم الحيرة فتعلم ضرب البربط وغنى غناء اهل الحيرة وعلم ذلك قوما من اهل مكة" ويشير ايضا الى ان الاية القرآنية الكريمة : "ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل اللـــه" قد نزلت فيه بسبب افراطه في ايذاء رسول اللـــه صلـــى اللـــه عليـــه وسلم قبـــل الهجـــرة.

وقد اكد كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ان "سائب خاثر" المتوفى في عهد "اليزيد بن معاوية (680-683م) هو اول من استعمل الة العود في مصاحبته للغناء بالمدينة المنوره بعد ما كان يصاحب بالقضيب ومنه استمرت هذه الالة يتناولها العازف والملحن والاستاذ الى عصرنا الحاضر.

وقال اخوان الصفا : ان اهل هذه الصناعة (اي الموسيقى) قالوا : ينبغي

.../...

ان تتخذ للآلة التي تسمى "العود" خشبا طوله وعرضه وعمقه على النسبة الشريفة، وعسى ان يكون طوله مثل عرضه ومثل نصفه، ويكون عمقه مثل نصف عرضه، وطول عنقه مثل ربع طوله، وتكون الواحة رقاقا متخذة من خشب خفيف ويكون الوجه رقيقا من خشب صلب خفيف يحان اذا نقر، ثم يتخذ اربعة اوتار بعضها اغلظ من بعض على النسبة الافضل وعوان يكون غلظ "البم" مثل غلظ "المثلث" ومثل ثلثه، وغلظ "المثلثة" مثل غلظ "المثنى" ومثل ثلثه، وغلظ المثنى "مثل غلظ "الزير" ومثل ثلثه .

وفي العصر العباسي بدات ظاهرة البحث العلمي والنظر في تطوير الآلات الموسيقية من ذلك ماقام به منصور زلزل المتوفى سنة 175 هـ 791م من ابتكاره للعود الكامل "المعروف ايضا "بعود الشبوط" الذي سمي بذلك لكثرة تشابهه لشكل نوع من انواع الاسماك التي تعرف بهذا الاسم وقد جاء عن هذا النوع في لسان العرب : انه سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الراس كانه البربط" .

ويقول عنه الباحث السكتاندي "فارمر" نقلا عن (النديم) ان عود منصور زلزل سمي بالشبوط لان رقبته ولوحة اصابعه تتسعان تدريجيا من جسمه والملاحظ ان العود الذي على هذا الشكل لا يزال مستمر الوجود في رومانيا تحت اسم الكبزه (انظر الشكل رقم) وقد استعمل بهذا الشكل في اوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر (انظر الشكل رقم) وينسب بعضهم الى منصور زلزل جعل الاوتار مزدوجة في العود بعدما كانت منفردة في عهد الكندي المتوفى 252 هـ 866م وقد شهدت بازدوجية الاوتار في العود عدة رسوم ترجع الى ما بعد الفترة التي عاش فيها منصور، واخترع ايضا موضعا خاصا في عنق العود نسب اليه بين الوسطى القديمة ووسطى الفرس سمي بوسطى زلزل قدرها بعض الباحثين بنسبة 27/ 22 من مطلق وتر العود .

وقد كان اول من اتقن طريقته الجديدة في العزف على العود جاريته المفضلة التي عرضت للبيع بعد وفاته ضمن التركة فوجد بها الموسيقار اسحاق الموصلي (ابن اخت منصور) تنشد وتبكي :

اقفر من اوتاره العود ... فالعود للاوتار معمود

واوحش المزمار من صوته ... فما له بعدك تعريد

فاعلم الخليفة هارون الرشيد بامرها .

.../...

فاعصرها لدية وانشد ـ وهي تبكي :

العين تظهر كتماني وتبديـــه والقلب يكتم ما ضمنته فيـــه

فاشتراها الخليفة واعتقها وانفق عليها الى ان فارقت الحياة في عز اخلاصها لسيدها منصور زلزل .

كما طور هذه الالة المغني علي بن نافع الملقب بزريـــاب الذي عاش بين القرنين الثاني والثالث الهجري التاسع ميلادي وذلك بان جعلها من وزن عود استاذه اسحاق الموصلي في الثلثه وجعل اوتارها بعضها من صوان شبيه الاسد والبعض الآخر من حرير لم يغزل بماء سخن وجعل مضراب العود من قوادم النسر عوضا عن الخشب وهي طريقة لا تزال مستمرة باوربا في العزف على آلة (الكلافسان) ، وزاد له وترا خامسا تماشيا له مع توسع بعض الاصوات.

وفي رايـــــي انه على بعض المؤسسات المتخصصة مثل الرشيدية او المجمع العربي للموسيقى ان تعيد عودا بهذا الشكل وهذه الاوتار لنرى مدى تاثيره ومردوده الفني على غرار ما قام به صديقنا الالماني الاستاذ "هلمان" من صنع الالات التي عثر عليها في النحوت الفرعونية .

المهم هو ان آلة العود استمرت طيلة ما يزيد عن الف واربعمائة سنة الركيزة الفنية الاولى في الموسيقى العربية يستعملها العازف والملحن والمغني في العمل الفردي والجماعي وقد ادرك فناننا القدامى ينعتونها بسلطان آلات الموسيقى وسجلها العديد من الشعراء بقصائدهم فهذا ابن معصوم يقول فيهـــا :

وعود به عود المسرات مورن يغني كما غنت عليه الحمائم

يرنح من يصغي اليه كما رنحته في الرياح النسائم

ويقول كشاجم المتوفي سنة 350 هـ 961م

جاءت بعود كان نغمته صوت فتاة تشكو فراق فتـــى

مخفف خفت النفوس لـــه كانما الزهر حوله نبتـــا

دارت ملاويه فيه واختلفت مثل اختلاف الكفين شبتـا

لو حركته وراء منهـــزم على بريد لعاق والتفتـــا

.../...

يا حسن صوتيهما كانهمـــا اختان في صنعة تراسلتـــا
وهو على ذا ينوب ان سكتت عنها وعنه تنوب ان سكتـــا

ونلاحظ من هذه الابيات شكر العود بالخفة وقد افتخر زرياب بعوده عن عـــود استاذه اسحاق الموصلي الذي يقع من وزنه في الثلث.

كما تعرفنا عن اسم ما يعرف الان "بالصافير" وهي بالملاوي وكذلك عن عدد ما مثل اصابع اليداي خمسة ازواج من الاوتار باعتبار الزيادة التي اضافها زرياب وقبلها حينئـــذ الموسيقيون البغداديون في القرن الرابع للهجرة وادركناها في عصرنا الحاضـــر.

وتصف لنا الابيات ايضا الطريقة الفنية التي تستعمل في مصاحبة العود للغناء حسبما جاء في البيت الاخير من قول الشاعر:

وهو على ذا ينوب ان سكتت عنها وعنه تنوب ان سكتا

ومن ذلك في هذا المعنى قول الشاعـــــر:

ومهاة قد راعت العود حتى عاد بعد اللجاج وهو ذلول
خلته من عرف اذنيه اذ مسها فلهذا ما تنون يقـــول

وهذا ما يعرف عندنا في المشرب العربي برد ان الجواب وفي المشرق العربي بالمجاسبة.

ويقول شاعر آخر في عدم تقوية عزف العود على الغناء وعدم استمرار العـــزف بدون انقطاع

لا احب الاوتار تعلو كمالا اشتهي الضرب لازما للعود

وفي ذلك مظهر للذوق السليم والفن المتقن، وتعزف لهذه الالة الفنان التونسي المرحوم عبد العزيز زرون المتوفى سنة 1913 بجبل المنار (سيدي ابي سعيد) الذي يعتبر اول من ادخل العود الشرقي المعروف حاليا الى المشرب العربي حيث جلب سنة 1910 احدى بهابذة الموسيقى العربية بمصر المرحوم الاستاذ كامل الخلعي الملحن الشهير وصاحب كتاب (الموسيقى الشرقي) الذي علمه عزف هذا العود ولمن لديه دورا في مقام الحجاز كاركرد مطلعه (القلب في حكم الهوى) وموشحا في مقام السيكاه عزام مطلعه (طاف محبوبي بكاس المدام). يقول عبد العزيز زرون في آلة العود:

لما رايت رفاقـــي يغازلون الصبايـــا
بقيت وحدي فريدا ابكي زمان صبايـــا

ايام تحملينـــــا　　وكن من الرعايـــــا
يحمن الطير حولي　　ويلتمسن رعايـــــا
يا عود لولا التسلي　　ما لمستك يدايـــــا
ولا لصقت بدري　　ولا سمعت غنايـــــا

وعندما نراجع كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وكتاب ابي نصر الفارابي المتوفى سنة 339هـ950م وابن سينا المتوفى سنة 428هـ1037م وابن زيلة المتوفى سنة440هـ1048م وصفي الدين الارموي المتوفى سنة 656هـ1258م وغيرهم من الباحثين في العلوم الموسيقية يتبين لنا الاتفاق على استعمال العود على اربعة اوتار اساسية وهي : البم والمثلث والمثنى والزير ويفترض هؤلاء الباحثون وجود وتر خامس يسمونه الزير الثاني وقد اثبته الارموي بما يفيد ان الزيادة وقعت لتوسيع الدائرة الصوتية ارتفاعا بها في الجوابات وان تسوية اوتار العود هي كالاتي : 1ـ مثلث البم مثل سبابة المثنى اي درجة العشيران ومقابلتها بالحسيني ـ 2 ـ سبابة البم مثل بنصر المثنى اي درجة العراق ومقابلتها بالاوج ـ3 ـ وسطى البم مثل خنصر المثنى او مثلث الزير اي درجة الراست ومقابلتها بالكردان 4 ـ بنصر البم مثل سبابة الزير الى جهة الانف اي درجة زيركلاه ومقابلتها بالشاهناز ـ 5 خنصر البم مثل مثلث المثلث أوعود الدوكاه ـ6ـ المثلث مثل سبابة الزير اي درجة الدوكاه 6.ـ المثلث مثل سبابة الزير اي درجة الدوكاه ومقابلتها بالمخير ـ7ـ سبابة المثلث مثل بنصر الزير اي درجة السيكاه وجوابها ـ9ـ بنصر المثلث ويدل على درجة الحجاز ـ 10ـ واخيرا خنصر المثلث مثل مثلث المثنى اي النوى .(8) ووسطى المثلث مثل خنصر الزير اي رجة الجهاركاه وجوابهـــــا . وعلى هذا الاساس يتبين لنا ان العود لم يتغير في تسويته اوزانه او تعديده حسب مختلف التعابير من تاريخ الابحاث التي اجراها الموسيقاريون الذين اشرت اليهم واخرهم صفي الدين الارموي الذي عاصر آخر خليفة للدولة العباسية وحكم الطاغية "هولاكو" الذي اكرم وفادته واهداه احد بساتين الخليفة المخلوع المعروف بالسميكة ورفع له في الراتب اكراما لادبه وفنه وذلك في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي لم يتغيـــر شيء في العود سوى الوتر الخامس الغليظ الذي يسوى الان على احدى درجات اليكاه او قرار جهاركاه او قرار بوسلك حسب اختلاف المدارس كما ان وتر الزير الثاني الذي رسمه صفي الدين الارموي في كتابيه الادوار والرسالة الشرفية هو مستعمل الان عند بعـــض الموسيقيين ويسوى جوابا لدرجة جهاركاه .

.../...

وقد راينا العوادين القدامى مثل الليثي وداود حسني واخرهم محمد القصبجي يستبدلون عزف جواب النون الذي يستلزم النفخ على وتر الزير بالنون او المثنى وفي ذلك ميل للسهولة التي تخلى عنها العازفون المعاصرون حيث تمكنوا من استخراج اعلب امكانات العود بالنفخ على جميع الاوتار وهذا يرجع في نظري الى التلاقح مع المدرسة التركية في العزف على آلة العود المقتبسة من عزف آلتي "البزق" و"الطنبور" التركيتين والتي تسربت الى مدينة حلب بحكم قربها من تركيا والى بغداد بواسطة الموسيقار التركي الشريف محي الدين حيدر المشارك في تاسيس مدرسة الفنون الجميلة والذي دعم طريقة عزف العود بالاقتباس من طريقة عزف آلة "تسيلو" الغربية التي كان رحمه الله بارعا في عزفها وكذلك مع طريقة العود التونسي الذي يعتمد اصلا على النفخ والذي سنتحدث عنه ضمن اعواد المغرب العربي والاندلس.

هذا ما يتعلق بالعود العربي الشرقي والذي ينحت كما اسلفنا بعدة اسماء اخرى اما في تونس وفي ولاية قسنطينة من القطر الجزائري فكلمة عود عربي تنحت عودا آخر اصغر من الاول في شكله و ينتقل الاعلى اربعة ازواج من الاوتار جميعها من صوان يكون تسويته على (من اسفل على اعلى) كردان نوى — مجير — ودوكاه — واما في قسنطينة فتكون كردان — نوى — مجير وجهاركاه — وبذلك نلاحظ انه بالرغم من توسع العود التونسي عن قرينة القلسنطيني بزيادة درجتين فان بالعودين نقصا من حيث القرار.

وقد اجريت على العود التونسي عدة تجارب الاولى قام بها المرحوم الاستاذ محمد جغال امين القيروان الذي كان مقيما بالمنستير وذلك بزيادة وتر خامس دوزنه على درجة العشيران وثمنا بالثانية مع المرحوم محمد بن صفر اقتصت تعاوين ذراع العود واضافة الدساتين لذلك الذراع اما التجربة الثالثة فقد قام بها السيد هشام المهدي وتقضي بجعل وتر الجر يشمل القرار والجواب في آن واحد على غرار ما يوجد في البزق التركي الشامي

اما في الجزائر وفي تلمسان فيوجد عود آخر يعرف باسم الكويترا ولعله تصغير لاسم القيتاره وهو رباعي الاوتار ودوزانه على النحو الاتي (من الاسفل الى الاعلى) : نوى — دوكاه حسيني وراسيتان بطريقة انزن من دوزان العود القسنطيني برباعية كاملة.

.../...

ويقول لي الصديق العالم ادريس بن حلون ان هذا العود الرباعي كان موجودا في المغرب وتظهر اله امام تكاثر وجود العود الشرقي كما ان الاخ الدكتور يوسف شوقي يؤكد انه ادرك مثل هذا العود في مصر والمحقق انه لا يزال مستمر الوجود في تركيا وفي اليونان ويسمى (اللوطة) كما يوجد برومانيا واسمه "كبزا".
(انظر الشكل رقم) وانتقل العود من بلاد العرب الى مشارق الارض ومغاربها سواء الى بلدان اسيا عن طريق التجار العرب والفتوحات الاسلامية، ويقول صديقنا الفياتنامي الباحث "ترانفانخي" الاستاذ بجامعة السربون في هذا الشان ان اهل الشرق الاقصى يقولون : ان آلة العود وصلتهم بواسطة جماعة من اهل الصحراء ويجزم بان يكونوا من العرب اذ لا وجود لمناطق صحراوية متاخمة لبلدان الشرق الاقصى .

وتوجد آلة العود بشكل لا يبتعد عن شكلها العربي بشئ من الصين حيث تسمى "بيبا" (Biba) واليابان حيث تسمى "بيوا" (Byoua) والفياتنام حيث تسمى "تيبا" (Teba). او الى اروبا عن طريق الاندلس وصقلية ثم عن طريق الاتراك العثمانيين في اواخر القرن الخامس عشر وشاع استعمالها في اغلب البلدان الاروبيه في القرنين الموالين

وادخل على العود باروبا تطوير متنوع من ذلك انه زيد له عدة اوتار حتى اصبح مجموعها احد عشر وترا وما زيد له ذراع ثان واصبح يسمى بعود توربي " Theorbe " لئه تعلو عن مردوده المدرجات الموسيقية العربية والشرقية بصفة عامة كما انه تظهر امام بروز القيثارة ذات الاوتار الحديدية وخاصة امام البيانو وقوته. وقد الف للعود عدد هام من الموسيقاريين الاوروبيين نذكر منهم بتروتشي Petrucci في البندقية سنة 1546 هذه المدينة التي لهر فيها اربعون كتابا للعود وتعرف بعد ذلك الفنانون الالمان ثم الفرنسيين وقد نشر اتينيان Attaingant كتابين عن العود في النصف الثاني من القرن السادس عشر ووصلت موسيقى العود اوجها مع القرن السابع عشر وامتازت حينئذ المدرسة الفرنسية من فرانسيسك Francisque (1600) وبيزار Besard (1603) وبلارد فالي وقولتي (N. Vallet Gaultier R.Ballard) وفي بريطانيا الف للعود ما بين سنتي 1540 و 1620 حوالي الفي قطعة على يد مجموعة من الفنانين يتقدمهم جون دولاند " John Dawland " وفي القرن الثامن عشر استمرت العناية بآلة العود ./ . . .

بالمانيا المصنعة من "فايس" "وبـــــاخ" و"ايـــــدن"

ويحاول الغرب الان العودة الى العود ضمن العناية بالالات القديمة وقد زارتنا في السنين الاخيرة عدة فرق بلجيكية وفرنسية وانكليزية تستعمل العود عادا لها وتفتخر برجوعها اليه .

ومما يثلج الصدر ان المعهد الدولي للموسيقى بمدينة البندقيـــة بدا منذ خمس سنوات في تنظيم حلقات دروس ومحاضرات سنوية في الموسيقى الغيـــر اروبية وقد شرفني بالقيام بتدريس الموسيقى العربية والاتها وبالطبع كانت مكانـــة العود في الصدارة وقد تخرج في عزفها عدد طيب من الشباب الفرنسي والايطالي والسويسري ومختلف الدول ومنهم من يقدم بها حفلات عمومية وهو معتز باتقان عزفهـــا .

بينما نلاحظ في الفرق العربية تقلصا لهذه الالة لتحتل مكانها الة "الفيولونتشلو" بجذب الاوتار بينما هي تعتبر من عائلة الفيولين (الكمانجة) وقد اصطلحنا عليها بالكمانجة الكبيرة ولا يمكن ان تؤدي ما يؤديه العود ولو كانت بعزف بارع من مثل الذي للمرحوم حسن الحفناوي والذي لمحمد غنية .

وقد برز بالعود الشرقي بتونس مجموعة طيبة من العازفين نذكر منهـــم المرحوم عبد العزيز زروق الذي جلب الفنان كامل الخلعي كما اسلفنا من مصر ينفرد بالتعلم عنه وقد توفي في بداية الحرب العالمية الاولى كما برز المرحوم مصطفى بوشوشة الذي سافر الى تركيا للتمكن من هذه الالة واتانا من العوادين احمد فاروز من مصر وقد اخذ عنه كثيرون ومن ليبيا موني الجبالي والد الفنان موريس ميمون واستاذ حبيبة مسيكة وفضيلة ختمي التي برعت في هذه الالة وكذلك السيد شدا الذي استمر مقيما بتونس الى الان .

ثم ظهرت مجموعة من المحاضرين نذكر منهم الهادي الجويني المتبع للمدرسة المصرية القديمة بتقليده لمحمد التمبجي وعلي السريتي الذي جمع بين المدرستين التركية والعربية وتبعهما مجموعة اخرى من العازفين اذكر منهم محمد الجاموسي ومحمد ساسي والهادي ثريا والمرحوم العادل بن سالم وتفوق في الاونة الاخيرة الاستاذ احمد القلعي ببراعة وابتكار .

.../...

كما ظهر عدد طيب من المنفردين بالعود العربي (التونسي) اذكر منهم محمد المغيربي ومحمد بن عبد السلام ومحمد اللوز وعلي بانواس ولالو بالشيني والطاهر غرسة وظهرت مجموعة من العوادين برعت في النوعين مما اذكر منهم استاذنا المرحوم خميس ترنان والمرحومين الهادي قمام والحبيب العامري والشيخ عبد الرحمان المهدي والسيد خميس الحنافي وغيرهم .

تعليم العود : لقد كان تعليم هذه الآلة يعتمد على التقليد المباشر بحيث يعزف الاستاذ امام تلميذه ويعاود هذا الاخير اعادة الجملة باكثر ما يمكن من الصحة والاتقان وتعزز هذه الدروس بملازمة التلميذ لاستاذه في حفلاته وتمارينه وحتى في خصوصياته بحيث يصبح بالنسبة اليه مثل الظل .

وفي الثلاثينات تفتحت اذان الموسيقيين بتعرفهم على شيء من الترقيم واصبح تعليم العود يرتكز على امداء النغم بالترقيم المغني ويعيد التلميذ الى ان يحفظ واشتهر من اصحاب هذه الطريقة بتونس عدد من المعلمين اذكر منهم عبد العزيز جميل الذي تخرج عليه عدد طيب من المحترفين وعبد الرحمان المهدي والهادي التنوفي ووناس كريم وبراميلو وقاقو وغيرهم وظهرت محاولات في الشرق والمغرب لكتابة طريقة لتعليم هذه الالة بعد الحرب العالمية الثانية قام بها مجموعة من الفنانين اذكر منهم الاساتذة عبد المنعم عرفه ويوسف شوقي من مصر وجميل بشير من العراق والحبقجي من سوريا وجون فرح وعبد الغني شعبان من لبنان وصالح المهدي واحمد الناهي من تونس واحمد سليمان شوقي من المغرب وفي رايي انه لا بد من تعزيز هذه الطرق الاربعة في مجموعها بالتعلم المباشر بين الاستاذ والتلميذ ليدرك هذا الاخير جميع الزخارف الموسيقية التي تصعب كتابتها او تتعذر باختلاف براعة العازف والجو الفني الذي يحيط به عند العزف ومستوى الموسيقيين الذين يشتركون معه في العزف .

وعلى المؤسسات الرسمية ان تعين هؤلاء الاساتذة بطابع كتبهم لتروج بين المدارس ويختار منها الجيل الصاعد الطريقة التي تناسب مزاج مختلف الفتيان والفتيات على غرار ما هو جار في بلاد الغرب بالنسبة لما يوجد لديها من عدد ضخم لكتب تعليم مختلف الالات الموسيقية .

. . . /. . .

تطوير آلة العود : ان تطوير هذه الآلة كان محدودا جدا بالنسبة لما كان عليه حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ولا بد في رايي ان يسجل عصرنا تفتقا وانطلاقا لهذه الآلة - التي يكتب لها البقاء وتدخل في اعمال الشبان كما كانت في تقاليد الاجيال السابقة وذلك مع امكانية بقائها على حالها في فن تقليدية تقدم التراث على حالته القديمـــــة .

فانا احبذ ما قام به بعض الشبان المصريين من وضع مضخم للصوت في جوف العود على غرار القيتارة، كما احبذ احداث اشكال عديدة للعود على ضوء ما احدثه صديقنا الموسيقار "كوتافي" في بلغاريا وكذلك الفنانون العراقيات والايرانيون لتطوير آلاتهم التقليدية اذ احدثوا منها ما يقابل حجم الفيولتيشيو والكترباص كما صغروا بعضها لتؤدي الاصوات الرقيقة مثلما هو موجود في اوربا لعائلة المندلين من آلات الموسيقى .

ولا بد في رأيي لتحقيق ذلك من تخصيص اعتمادات للبحث ومن تعاون العازفين والاساتذة ومصانع الآلات لبلوغ الغاية ونحمد الله ان بعثنا بتونس صنعا من الديوان القومي للصناعات التقليدية كما بعثت مصانع عديدة بانحاء الجمهورية التونسية وبمختلف البلاد العربية وبذلك تيسر البحث وسهل التعاون ، واسجل باعتزاز ما حققه مهرجان تستور للمالوف والموسيقى التقليدية من القيام بدارس مجموعة من المواضيع ومن اجراءات بما فيها فرقة تداول العود التونسي في القرن المتبارية ودراسة لمشاكل هذه الآلة ومشيلاتها حفظا لها من التلاشي باعتبارها من ابرز عناصر اسرة العود الذي لابد من المحافظة عليه اذا نحن اردنا الحفاظ على موسيقانا العربية التي هي من اهم ركائز ثقافتنا الاصيلة التي طالما تألقت في سماء الدنيا تير السبل وتهدي الى حياة النعيم والرخاء والتعاطـــف .

والله يوفقنا جميعـــــا

والســـــــلام

الدكتـــــور صالـــح المهـــدي